بسم الله الرحمن الرحيم



حديث "..ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها.." دراسة حديثية

بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من 14– 2010/7/15م

بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية

إعداد

الدكتورة نماء محمد البنا

مساعد العميد لشؤون التطوير والجودة

أستاذ مساعد/ كلية الشريعة/ الجامعة الأردنية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد

فقد انتُقد في الصحيحين عدد من الأحاديث، من جهات متنوعة، فتارة ينتقدها الكارهون لهذا الدين، الحاقدون على تراثها قرآنا وسنة، فنراهم يتصيدون الإساءة بخفاء حينا، وبكره واضح جلي حينا آخر، وتارة ينتقدها العقلانيون الحداثيون الذين وجدوا في هذا الحديث مخالفة للعقل والمنطق، وتارة ينتقدها علماء المسلمين ممن لا نشك في حبهم للدين وخدمتهم له وحرصهم على الدفاع عنه، من جهة وضع سد منيع في وجه من تسوّل له نفسه الطعن بهذا الدين.

ومن الأحاديث المنتقدة حديث البحث وهو" لولا بنو إسرائيل لم يخنز الطعام، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر"، وقد تناول فيه الباحث الحديث من ناحية السند والمتن، إلا أنني ركزت على المتن لأن جل الإنتقادات وجّهت له، وقد جاء البحث في مباحث ثلاثة:

- المبحث الأول: روايات الحديث
- المبحث الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
- المبحث الثالث: الرد على الانتقادات

والحديث في الوهلة الأولى يلزم القارئ بالتوقف عنده، والتريث لفهمه وبيان المراد منه، ولعلّ أشد ما فاجأني ما تواترت به كتب التفسير والشروحات لهذا الحديث من اعتماد شبه مطلق للروايات الإسرائيلية في بيان معناه، الأمر الذي جعل كل قارئ للحديث من الكتب الأصيلة يربطه تلقائيا بما روته الإسرائيليات لقصة آدم وحواء –عليهما السلام-.

وقد حاولت بما أفهمه من نظرة الإسلام للمرأة والرجل أن أشرح الحديث بعيدا عن الاعتماد على الكتب السابقة، بل ببيان دور كل من الرجل والمرأة الرسالي على وجه الكرة الأرضية، مما هو من مقتضى الخلافة في الأرض وإعمارها بمنهج رسالي واضح وراقي.

وأسأل الله تعالى السداد والتوفيق

المبحث الأول

روايات الحديث

يروي هذا الحديث عن أبي هريرة أربعة:

1 -همّام بن منبه: ويرويه البخاري [1] ومسلم [2] وأبو عوانة [3] وابن حبان [4] وأبو نعيم [5] جميعا من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة مرفوعا، بلفظ "لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر"، ولا يوجد في رواية البخاري"لم يخبث الطعام".

وعند البخاري [6] رواية ثانية من طريق ابن المبارك، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة مرفوعا بمثل لفظ المتن السابق، إلا أنني أعتقد أنه قد حصل لبس؛ ففي حديث الباب يورد البخاري حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه- في إسلام عبد الله بن سلام، ثم يذكر البخاري بسنده إلى أبي هريرة ويقول نحوه، والمعلوم عند أهل الحديث أن لفظ نحوه تعود لرواية المتن السابق من طريق آخر، ثم يأتي أحدهم- ولعلّه أحد النساخ- فيقول:

يعني لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها، فلا دليل أبدا على أن الحديث بهذا المتن من رواية البخاري، إنما هو تصرف بعض الرواة أو النساخ، وقد اختلف شراح الصحيح في توجيه هذه اللفظة لأنه

لم يرو هذا المتن أحد أبدا من طريق ابن المبارك، عن معمر، حيث يقول ابن حجر [7]:" قوله عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "نحوه" لم يسبق للمتن المذكور طريق يعود عليها هذا الضمير؛ وكأنه يشير به إلى أن اللفظ الذي حدثه به شيخه هو بمعنى اللفظ الذي ساقه، فكأنه كتب من حفظه وتردد في بعضه، .. يعني ولم أره من طريق بن المبارك عن معمر الا عند المصنف".

ويعترض العيني على كلام ابن حجر حيث يقول [8]:"هذا ما فيه كفاية للمقصود، ولا له التئام من جهة التركيب؛ لأن الذي يذوق دقائق التراكيب ما يرضى بهذا الذي ذكره، بل الظاهر أن ههنا وقع سقط جملة لأن لفظة نحوه أو مثله لا يذكر إلاَّ إذا مضى حديث بسند ومتن ثم إذا أريد إعادته بذكر سند آخر يذكر سنده ويذكر عقيبة لفظ نحوه أو مثله، أي نحو المذكور ولا يعاد ذكر المتن اكتفاء بذكر السند فقط؛ لأن لفظ نحوه ينبىء عن ذلك والذي يظهر لي **<u>بالحدس</u>** أن البخاري روى قبل هذا عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر" ثم رواه عن بشر بن محمد، عن عبد الله، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة- رضي الله تعالى عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم- ثم قال" نحوه "أي: نحو الحديث المذكور، ثم فسر ذلك بقوله :" يعني لولا بنو إسرائيل إلى آخره" وإنما ذكر لفظ "يعني" إشارة إلى أن المتن الذي ذكره عبد الله بن المبارك عن معمر يغاير المتن الذي رواه عبد الرزاق عن معمر ببعض زيادة وهو قوله "لم يخبث الطعام" وفي آخره لفظ "الدهر".

أما السخاوي فقد أشار لهذه الرواية بالذات حيث يقول [9]:" فإنه أخرج في خلق آدم من أحاديث الأنبياء من طريق ابن المبارك، عن معمر، وعن همام عن أبي هريرة عن النبي فقال:" نحوه" وقال عقبة ما نصه: "يعني لولا بنو إسرائيل لم

يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها" وكأنه لكون الرواية المحال عليها لم يسمعها أو سمعها بسند على غير شرطه أو نحو ذلك.

والذي أرجحه كما قلت سابقا أن الرواية المحال عليها هي إسلام عبدالله بن سلام، ولعله إدخال من بعض النساخ في تفسير قوله نحوه، والله أعلم.

2 -أبو يونس مولى أبي هريرة: واسمه سليم بن جبير الدوسي، ويروي مسلم [10] وأبو نعيم [11] وأبو عوانة [12] كلهم من طريق عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن أبي يونس، عن أبي هريرة مرفوعا مقتصرا في متنه على " لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر" باستثناء كلمة الدهر عند أبي عوانة.

3 -خلاس بن عمرو الهجري: ويرويه الإمام أحمد [13] واسحاق بن راهويه [14] وأبو نعيم [15] والحارث [16] جميعا من طريق عوف الأعرابي عن خلاس عن أبي هريرة مرفوعا بمثل لفظ رواية همام.

4 -محمد : يرويه الحاكم في المستدرك [17] من طريق روح بن عبادة، عن عون، عن محمد، عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ البخاري أي دون عبارة "لم يخبث الطعام" وقال عقبه:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

المبحث الثاني

الإنتقادات على الحديث

يوقع هذا الحديث عند قراءته للوهلة الأولى ريبة في النفس، فهل يعقل أن اللحم لم يكن يفسد قبل بني اسرائيل؟! وهل حقيقةً أن أمنا حواء هي سبب خيانة كل امرأة لزوجها؟! وتتحمل وزر كل انثى خانت زوجها إلى يو القيامة؟! هذا الأمر جعل بعض المخلصين ينكرون هذا الحديث، كما جعل بعض المغرضين يقعون على وجبة دسمة للطعن في أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وقد حاولت جمع الطعون على هذا الحديث فكانت كالآتي:

- منهم من طعن بسند الحديث، وأن هذا الحديث من إنتاج قاص، أي أنه ليس محدثا بل من القصاص، كما أنه عندما يقول من إنتاجه أي أنه موضوع مكذوب، حيث يقول ابن قرناس [18]:" وقد آمن قاص هذا الحديث.." . ويقول:" مما يظهر بوضوح أن مختلق الحديث إما يهودي.." [19] فالكلام يؤكد أن الطعن يقع مباشرة في الصحابي راوي الحديث وهو أبي هريرة-رضي الله عنه-.
- معظم من طعن في هذا الحديث انصب طعنه على المتن، وتعددت عبارات هؤلاء الطاعنين مع بقاء المضمون متشابه وهو إنكار المتن غالبا عقلا، وأنه من الإسرائيليات لا من كلام النبوة، وأنه مما دخل علينا من الكتب المقدسة، يقول ابن قرناس [20]:" اللحم يخنز ويفسد بسبب البكتيريا وليس بسبب بني إسرائيل، وهذا يعرفه تلاميذ المرحلة الإبتدائية، وإن كان هناك رجال دين لا يعرفون ذلك، فهم من يحتاج للتعلم، لا أن يطلبوا من الناس أن يشاركوهم جهلهم.

أما أن يكون سبب الزنى هو حواء، فهو إعتقاد يهودي، مما يظهر بوضوح أن مختلق الحديث إما يهودي، أو أنه متأثر بتراث كتب اليهود".

ويمكن أن نقول إن الطاعنين في هذا الحديث لا يخرجون غالبا عن أربع فئات:

- **الفئة الأولى: الحداثيون العقلانيون والعلمانيون**

وقد ذكرت سابقا كلام ابن قرناس في كتابه الحديث والقرآن، ومن أمثاله زكريا أوزون، حيث تناول هذا المتن في كتابه"جناية الإمام البخاري على الأمة" فقال [21]:" من الناحية العلمية والعملية يخنز اللحم (أي ينتن) وكذلك فالمرأة تخون زوجها كحقيقة علمية وموضوعية-حسب أبى هريرة-فكما أن اللحم ينتن، فإن المرأة تخون؛ ومن هى الخائنة للزوج تحديدا!؟! من هى خائنة بيت الزوجية؟! أليست الزانية!! فما رأيك سيدتى المرأة وما هو مبرر صلاتك وصيامك وحجابك مادمت خائنة لزوجك دوما".

ومنهم أيضا سامر إسلامبولي إذ يقول [22]:" فهذا الحديث يثبت أن الخيانة في النساء هي شيء طبيعي، وذلك موروث غريزي من خلال الأم الأولى-حواء- والمفروض حسب الحديث أن لا تلام أية أنثى على فعل الخيانة لأن ذلك هو من طبعها الذي جبلت عليه!

والسؤال المطروح ما هي خيانة حواء؟ والجواب التقليدي هو أنها زينت لآدم وشجعنه على الأكل من الشجرة التي نهى الله عن الأكل منها.

فعلى افتراض صحة القصة أين فعل الخيانة في الموضوع؟ إذا تم الأكل من الشجرة لكليهما وآدم عندما استجاب لها فذلك لهوى في نفسه وقد انقاد للفعل بإرادته دون إجبار أو إكراه فهو المسؤول الأول والأخير ولا علاقة لها بذلك أبدا".

ومنهم صالح أبو بكر في كتابه الأضواء القرآنية إذ يقول [23]:" وبراهين الكذب على رسول الله في هذا الحديث تتبين في الآتى:

أولا : ان حواء لم تكن خائنه لزوجها في يوم من الأيام. وانما هي شريكه له في الطاعة الدائمة وفي المعصية الوحيدة التي أقترفاها في الجنة . ولم تكن مسيطرة على آدم فحرضته على الأكل من الشجرة كما يقال، وانما يعتبر آدم مسئولا قبلها وصاحب المسئولية الأولى لقوله تعالى(فعصى آدم ربه فغوى) ولم يقل فعصت حواء ربها فغوت . وان كان هذا لا يعفيها لأنها شريكة فقط وليست خائنة كما يقول هذا الحديث .الذي لا يمكن أن يصدر عن النبي ص بحال من الاحوال . وانما كان آدم من اللحظة الاولى هو القوام عليها كما هي سنة الله.

ثانيا : أن خيانة الزوجات لأزواجهن لم تكن من نوع فعلته حواء مع آدم طوال حياتها . وانما تكون الخيانة الزوجية في العقيدة أو العرض أو المال . وأهمها خيانة العقيدة كما وصف الله امرأة نوح وامرأة لوط في سورة التحريم . ورسول الله أعلم الناس بتلك الحقيقة عن حواء أم المؤمنين والمؤمنات من الآدميين .

ثالثا : عجيب أن ينسب الى النبي ص أنه وصف حواء بصفة الخائنة الأولى . الرائدة في خيانتها لكل الخائنات . وكأنما لأعطاها صفة أحط وأدنى من صفة امرأة نوح وامرأة لوط . بل كأنه حملها وزر القيادة والأسوة السيئة لهاتين الخائنتين . وكل الخائنات من النساء ز مع أن الله تبارك وتعالى لم يذكرها في كتابه مع الخائنات لأنها لم ترتكب خيانه تذكر ولهذا الأعتبار فان للعقلاء الحق أن يسألوا . ومن أين جاءته صلى الله عليه وسلم تلك الحقيقة ما دامت لم تأته في القرآن الكريم ؟؟والحق أنها لم تأته ولم يقلها لأنه صاحب أعف لسان . وانما هى الاسرائيليات أعدائه وأعداء دينه . وعلينا أن نرفضها ".

وعلى طريقهم يقول نيازي عز الدين عن ذات الحديث [24]:" وإذا سألنا من أين أتى مصدر العلم لمحمد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ليقول هذا الكلام، علما أن علم الرسول يبدأ وينتهي بما نزل عليه من الله وحيا بواسطة جبريل عليه السلام ..ولكن ماذا تريد أن يقول لك جنود السلطان الذين قرؤوا التوراة فوضعوا الأحاديث كذبا وظلما على الله وعلى كل المسلمين بأن الرسول قد قال هذا الكلام؟ هل تريد بعد أن قبضوا الثمن من السلطان أن يعودوا ليعترفوا لنا عن مصدر علمهم؟" ثم ذكر نصوصا توراتية وقال:" هذه القصص التوراتية وأمثالها كانت مصادر جنود السلطان للوحي الثاني الذي نسبوه ظلما لله ورسوله".

ومن العلمانيين من أفرد لهذا الحديث بالذات دراسة مفصلة مثل د.عبد الحكيم الفيتوري [25]حيث كتب في موقع "مؤسسة الحوار المتمدن" [26] على الإنترنت أربعة مقالات بعنوان"الأنثى والخيانة" [27]، وسأفصّل نوعا ما في كلامه لأنه غالبا جمع انتقادات الآخرين، ولأنه نقد الشراح والمفسرين، ولأنه حاول أن يضفي صبغة علمية على نقده.

انتقد د. عبد الحكيم في المقالة الأولى [28] شراح الحديث فيما يتعلق بالشطر الأول من الحديث إذ يقول:" لا يخفى أن حديث أبو هريرة لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها، من الأحاديث المتفق عليها، قد تناوله جمع من شراح السنن بالشرح والتأويل بطريقة تقديسية تمجيدية، ركزوا فيها على شرح مفردات الحديث وذكر ما يستفاد من هذا الحديث من لطائف وإرشادات بنمطية كلاسيكية ذكورية، فمثلا هذا الحافظ ابن حجر شارح صحيح البخاري في كتابه فتح الباري، قال في شرحه لهذا الحديث: قوله لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم -يخنز بفتح أوله وسكون الخاء وكسر النون وبفتحها أيضا بعدها زاي- أي ينتن والخنز التغير والنتن، قيل أصله أن بني إسرائيل

ادخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك، حكاه القرطبي وذكره غيره عن قتادة، وقال بعضهم معناه لولا أن بني إسرائيل سنوا ادخار اللحم حتى أنتن لما ادخر فلم ينتن، وروى أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه قال في بعض الكتب لولا أني كتبت الفساد على الطعام لخزنه الأغنياء عن الفقراء.انتهى شرح ابن حجر للشطر الأول من الحديث ويبدو أن ابن حجر لم يكن معنيا بما ينقله عن القرطبي أو قتاده أو وهب بن منبه من كلام يناقض سنن الكون وناموس الحياة، ويخالف منطق الوحي ومنطق العقل".

ويقول في تعليقه على ابن حجر في شرحه للشطر الثاني للحديث:" ثم انتقل ابن حجر لشرح الشطر الثاني من الحديث بقوله: قوله ولولا حواء أي امرأة آدم وهي بالمد، قيل سميت بذلك لأنها أم كل حي، وسيأتي صفة خلقها في الحديث الذي بعده. وقوله لم تخن أنثى زوجها؛ فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهها بالولادة ونزع العرق، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له،وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها، وقريب من هذا حديث جحد آدم فجحدت ذريته، وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى وأن ذلك من طبعهن فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الندور، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النـوع بل يضبطن أنفسهـن ويجاهدن هواهن والله المستعان. (فتح الباري) ولعل اللطيفة المستفادة من هذا الحديث كما قال ابن حجر هي تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم وأن ذلك من طبعهن، ويبدو ابن حجر في

تقريره لهذه المسلمة ينطلق من أرضية تلك الروايات الذكورية المخالفة للقرآن وقصديته، والمناقضة لمنطق العقل والواقع؛ كرواية المرأة خلقت من ضلع أعوج،ورواية النساء ناقصات عقل ودين وهلم جرا".

ثم انتقد الكاتب النووي في شرحه للحديث عند مسلم حيث يقول الفيتوري:" ولم يبعد شارح صحيح مسلم الإمام النووي عن شرح ابن حجر من حيث التفكير والمسار والمنطق الذكوري المحكوم بإكراهات المجتمع العربي وبيئات قضايا الشرف والعار.. واللافت للنظر أن النووي يذهب إلى أن فسد اللحم لازال مستمرا حتى لحظته حيث نقل عن علمائه نقلا بعقل تمجيد لا يفرق بين الواقع والخيال،ولا بين العلم والتخملات،فقال:قال العلماء معناه أن بني إسرائيل لما أنزل الله عليهم المن والسلوى نهوا عن ادخارهما فادخروا ففسد وأنتن واستمر من ذلك الوقت والله أعلم، وأحسب أن هذا الزعم يبدده الواقع جملة، ولعل النووي في ذلك قد تخيل اللحوم في زمانه بأنها فاسدة وذلك من باب إقناع العقل بمنطق هذه الرواية المخالفة للوحي والعقل والواقع!!".

وبعد ذلك ينتقل في المقالة الثانية لانتقاد المفسرين، حيث يقول في مقدمة المقالة [29]:" ينبغي التنبيه هنا بأننا لا نريد الوقوف عند الشطر الأول من الحديث (لولا بنوا اسرائيل لم يخنز اللحم) حيث تكفي الاشارة السالفة لهذا الشطر من أن فساد اللحم وعفانته لا علاقة له بدين ولا بجهة ولا بلون وإنما تخضع لعوامل قررها العلم الحديث من بكتيريا وفيروسات وغير ذلك مما هو مقرر عند علماء العلوم الحديث، ولعل شطر هذه الرواية منتج من منتجات العنصرية الدينية والملية، لأن رائحة التدافع الملي بين المسلمين وغيرهم خاصة اليهود واضحة وجلية فيه، والذي يهمنا في هذا المقام الوقوف عند الشطر الثاني من الرواية (لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر) بغية معرفة حجم اعتداءات المفسر على النظم القرآني لصالح هذه الرواية، وما أفرزه من ثقافة ذكورية تحتقر الانثى

وتزدريها بمنطق الدين والإيمان لدرجة إقتناع الأنثى ذاتها بتلك الثقافة الذكورية (العنصرية الذكورية) المخالفة لمنطق الوحي وقصديته، فنأخذ لذلك عينة تفسيرية تثبت مدى الترابط بين ما قاله المفسر في القديم وما نقله عن المفسر الحديث عنه على الرغم من تغير السياق التاريخي والمساق الثقافي والاجتماعي، وذلك من خلال تفسير ابن جرير الطبري وتفسير فتح القدير للشوكاني عفى الله عنهما". ثم ينقل بعبارات فيها الكثير من الإزدراء كلام الطبري في تفسير آيات سورة البقرة المتعلقة بآدم وحواء، حيث يبدأ كل فقرة بعبارات مثل: القصة الدرامية لدخول ابليس الجنة، ابليس يخطط لإختراق الجنة، مشهد خيالي درامي حواري بين إبليس والملائكة، قصة اختفاء آدم من ربه، إبليس يتابع قراءة كتب الملائكة في صورة درامية، مشهد إغواء آدم في ثوب سهرة أنسية، العقوبة السرمدية لحواء وبناتها بنقصان العقل والدين، إشراك الحية في عقوبة حواء.

ثم ينتقل إلى الشوكاني في فتح القدير فيقول:" لخص الشوكاني ما قاله ابن جرير الطبري بزيادة بعض الاسانيد والمتون الأسطورية، فقال في تفسيره فتح القدير:وقد أخرج قصة الحية، ودخول إبليس معها، عبد الرزاق، وابن جرير، عن ابن عباس، وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن عساكر من طرق، عن ابن عباس قال: الشجرة التي نهى الله عنها آدم السنبلة وفي لفظ: البرّ. وأخرج ابن منيع، وابن المنذر، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب، عن ابن عباس. قال: قال الله لآدم: ما حملك على أن أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: يا ربّ زينته لي حوّاء، قال: فإني عاقبتها بألا تحمل إلا كرهاً، ولا تضع إلا كرهاً، وأدميتها في كل شهر مرتين. وربط الشوكاني تلك القصص بحديث الباب بطريقة تمجيدية، حيث قال وأخرج البخاري، والحاكم عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها. وقد ثبتت أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة في الصحيحين، وغيرهما في محاجة آدم، وموسى، وحجّ آدم موسى بقوله: أتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن أخلق؟(انظر:فتح القدير للشوكاني تفسير آيات البقرة)
واللافت للنظر أن الشوكاني ومن صار على نهجه في نقل تلك الاسانيد والمتون المخالفة لمنطق العقل والوحي يؤسسون بذلك فكرة تحويل العقل من أداة فهم إلى مستودع حفظ،ومن آلة استكشاف إلى آلة استذكار،كذلك ينشرون ثقافة العنصرية الذكورية باسم الدين والتي تمارس عمليات الاضطهاد والإزدراء للأنثى على كافة مراتبها".

وفي المقالة الثالثة يذكر نصوصا من الكتب المقدسة يبين من خلالها أنها مصدر هذا الحديث تحت عنوان[30]" خيانة حواء في العهد القديم".

وفي المقالة الرابعة [31] يحاكم مفردات الحديث واستشهد بإحصائيات أن الواقع يقول إن نسبة الخيانة عند الرجال تفوق نسبتها عند الإناث، وإن العقل الكلاسيكي-كما أطلق عليه- يعاني من أزمة تعامله مع مفردة"الخيانة"، ثم يدلل على عقلانية الجيل الأول في فهم النص إذ يقول-بعد ذكره بعض استدراكات السيدة عائشة على الصحابة-:" يبدو أن ميزان السيدة عائشة في قبول الرواية جد محكم فما خالف قصدية القرآن ومنطق العقل رفضتها وإن كان القائل به جهمور الناس فالعبرة عندها ليست كثرة الرواة وعدوليتهم، ولكن بقبول القرآن والعقل لما يرويه الرواي ولو كان راويا واحدة، وبذات الميزان والمنهج العائشي يمكننا وزن حديث أبي هريرة: لولا بنو إسرائل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها.والقول فيه بأنه حديث لا يستقم ومنطق الوحي والعقل بل مخالفته ظاهرة وصريحة،فالله سبحانه وتعالى يقول(ولا تزر وازرة وزر أخرى)ويقول(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)فإذا كان ذلك كذلك فكيف تحمل حواء

معصية آدم(فعصى آدم ربه فغوى)،وكيف تعاقب بنات حواء بالحيض والنفاس،والكره في الحمل والوضع، وكيف تصبغ الأنثى بصبغة الخيانة الدهر كله،والله يقول(من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها)،ومن عدله سبحانه (ألا تزو وازرة وزر أخرى،وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى)،ومن قانونه(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره،ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)،ومن رحمته سبحانه قال(أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)".

ويقول جورج فرح تحت عنوان"المرأة مصدر الشرور" [32]:" لم يكتفِ الذكَر بالحطِّ من قيمة الأنثى، بل نَسَبَ إليها شروراً ما أنزل الله بها من سلطان! ففي قصة الخلق التوراتية حُمِّلت حواء المسؤولية الكاملة عن الخطيئة وشرور العالم، الحية أغوت حواء بتناول التفاحة، ولكن الحية حيوان لا يمكن أن نحمِّله مسؤولية ما، إذن حواء – ذلك المخلوق الإنساني الشرير! – هي التي أغوت آدم وأدَّت به إلى السقوط في الخطيئة وإلى الحرمان من الجنة.

أرأيتم إلى هذا السيناريو الذي أقحم حواء – الإنسان المسؤول – بين الحية غير العاقل وآدم العاقل ليجعلها كبش المحرقة! وعلى الرغم من أن تلك القصة تُسبِغ على آدم صفة البراءة، لكنها، في الوقت ذاته، وبصورة غير مباشرة، تنعته بالسذاجة، إن لم نقل بالغباء؛ إذ إن وصية عدم الأكل من شجرة المعرفة كانت موجَّهة له ولحواء معاً؛ فإن كانت حواء شريرة – وليس ذنبها أن خلقها الله هكذا! – فإن آدم كان غبياً، وجاء في حديث عن الرسول، استناداً إلى هذه القصة، قوله: "ولولا حواء، لم تَخُنْ أنثى زوجَها الدهرَ"، وذلك لأنها رغَّبت آدم في الأكل من الشجرة بعد إبليس، فسرى في أولادهما مثل ذلك".

- **الفئة الثانية: الشيعة**

لقد تناولت الشيعة في مواقعهم أيضا الحديث بنوع من السخرية والإستهزاء حينا، والطعن والإساءة حينا آخر، وقد وجدوا فيه غنيمة كبيرة لاصطياد عدو لهم لدود هو الصحابي أبي هريرة، والقارئ لكتبهم يرى بوضوح اتهامهم لأبي هريرة بالكذب.

ففي موقع شمس كربلاء يذكر الحديث تحت عنوان"البخاري ومسلم يتفقان على خيانة حواء(عليها السلام) والراوي أبو هريرة"[33]ثم يعقّب من أطلق على نفسه ابن الزهراء فيقول: فليتفضل احد عقلاء السنة وليوضح كيف أن حواء أم البشر (خائنة)وذلك لأن لفظ الخيانة إنما يؤخذ عند الاناث في العرف اللغوي السائد وهي خيانة شرفية (نعوذ بالله)، ..ولايصح تحويل المعنى إلى الخيانة المعنوية ..لعدم وجود حتى مثل هذه الخيانة في أحاديثكم فلا يقام لها وزنا".

وفي موقع رسول الله وأهل البيت تحت عنوان"صحيح مسلم يتهم زوجة النبي وكل زوجة بالخيانة" يقول [34]:" ..ولكن بما أنك أدرجت حديث بني إسرائيل معه وكان بني إسرائيل شر فهذا يعني لولا هؤلاء الأشرار بني إسرائيل لم يخنـز اللحم، ولولا الشريرة حواء -والعياذ بالله- لم تخن أنثى زوجها .

فما شاء الله على هذا التفسير الذي جعل حواء سبب خيانة كل خائنة متزوجة، فتكون بذلك لا فرق بينها وبين إبليس؛ يعني سبب الخيانة المنسوبة لحواء هي لأنها أنجبت كل هذه النساء، وهذا يعني أنه -والعياذ بالله- يستطيع أن يقول أي شخص على تفسيرك هذا بأنه لولا الله لما عصاه بشر، فإن سألناه ماذا يعني تفسيرك فسيقول يعني لو لم يخلق الله البشر لما عصوه، وعلى كلا الأحوال هي مصيبة مردودة عليكم؛ لأنه تستطيع أي إمرأة خانت زوجها بأن

تجيب يوم القيامة بأنه يا رب لا تلمني لأنه لولا حواء لما قمنا بالخيانة، ولولا لم تخلق بشر لما عصاك أحد. وهنا النكتة الجميلة هي أنه ليست كل متزوجة خائنة، ولكن كل متزوجة خائنة سببها حواء حسب زعمكم، فلماذا نسبتم الخيانة للخائنات بحواء، ولم تنسبوا طهارة الطاهرات بحواء ؟! أو ليس هؤلاء أيضاً أمهم حواء أيضاً ؟!فلماذا نسبتم الخيانة الزوجية بحواء ولم تنسبوا الطهارة الزوجية بها؟".

وفي موقع شبكة أنصار الحسين-عليه السلام- يذكر الحديث تحت عنوان [35]"لولا حواء لم تخن أنثى زوجها المصدر البخاري ومسلم!" ثم يقول:" أكانت أمنا حواء خائنة؟! أهي المتسببة في جميع الخيانات الناجمة من كل زوجة لزوجها؟ ألا يدعو هذا الحديث المزعوم إلى كراهية أمنا حواء على نبينا وآله وعليها الصلاة والسلام ؟! أيتناسب هذا مع الدعوة ببر الوالدين ؟!".

- **الفئة الثالثة: النصارى**

لم أكن أتوقع أن يُهاجم هذا الحديث من قِبل النصارى، وذلك لأن الكتاب المقدس عندهم والذي يضم العهد القديم والعهد الجديد يثبت في كلا العهدين القديم والجديد أن حواء هي أصل الخطيئة، وتحمّل حواء مسؤولية معصية آدم وخروجه من الجنة، ففي سفر التكوين [36]ورد الآتي:" ..وكانت الحية أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة: أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقد قال الإله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا...فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها معها فأكل"

ويقول بولس [37]:"وآدم لم يغو، لكن المرأة أغوت فحصلت في التعدي" لذلك لم يأذن لها الرسول"أن تعلم، ولا أن تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت لأن آدم جبل أولا ثم حواء".

وجاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس [38]:" ولكني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في السيد المسيح".

ومع ما ذكرت نجدهم في مواقعهم يتناولون هذا الحديث بالطعن، وقبل أن أبدا بنقل أقوالهم أقول: لقد اتفقت كلمة العلماء أن ناقل الكفر ليس بكافر، وأنا أبرأ إلى الله مما يقولون ، لكن للأمانة وللوقوف على على كل من انتقد الحديث أراني مكرهة على نقل كلامهم.

ففي موقع (الأقباط) منتدى منظمة أقباط الولايات المتحدة تحت سلسلة (من هو الكذاب) وبعنوان " لولا اليهود لما وجدت البكتيريا، ولولا حواء لما خانت النساء" [39]:" سلام المسيح رب المجد ...
أمامنا حلقة جديدة من سلسلسلة:من هو الكذاب ! والتي نستعرض فيها أحاديث صحيحة جداً واردة في صحيحي البخاري ومسلم، وهما أعلى كتب الصحاح بالدقة والصحة بعد قرآنهم، في حين أنها تتعارض مع العقل أو المنطق أو التاريخ..وبذلك يضربون بايديهم احد مصادر دينهم الموحى بها أي : السنة وكذلك يهدمون أسس ما يعرف عندهم بــ " علم الجرح والتعديل"
ويشككون بأسانيد الاحاديث الصحيحة ورواتها العدول والثقات ...مما يدخل الظن والريبة فيهم جميعاً ..مما يجعلنا نطرح هذا السؤال الخطير : من هو الكذاب في الحديث؟ هل أحد الرواة العدول الثقات ... أو الصحابي أو محمد نفسه؟

واليوم نعرض لمسألة جديدة طرحها محمد في حديثه الصحيح الذي أورده البخاري في صحيحه وكذلك مسلم ! وها هو الحديث (ويذكر حديث البحث)

ونقول للبيان : الحديث يحمل اليهود حقيقة فساد اللحم .. وأنه لولا أن بني إسرائيل قد خزنوه لما فسد اللحم وتحلل!! ويحمل حواء كل خياتات قامت وتقوم بها كل زوجة !.. وهكذا نجد بأن كل مصائب الدنيا ... تنزل إما على رأس اليهود أو على المرأة ! اليهود ! والنساء ! فهما اساس البلاء عند المسلمين ومصدر كل بلوى ومشكلة !..

هذا الحديث أوضح نموذج لما يسمى بـ نظرية المؤامرة ! أو مخططات بني صهيون ..كما أن كل مصيبة يلقونها على المرأة!

اولاً: مسألة فساد اللحم .. بسبب اليهود ! تخريف نبوي ! حتى فساد اللحم ... ألقى صلعم سببه على رأس اليهود !!!

وكأن اليهود – بمؤامراتهم الخبيثة – هم من اخترعوا " البكتريا " التي تحلل وتفسد اللحوم !! او ربما استنسخوها! وهذ يعد هراء علمي بكل المقاييس ..فالبكتيريا موجودة قبل الإنسان .. وما تسببه موجود حتى قبل وجود الحيوانات فالبكتريا هي أقدم الكائنات الحية على سطح كوكب الأرض !

فاللحم كان يفسد بالطبع قبل أن يوجد في الدنيا بنو إسرائيل وقبل إبراهيم .. فما يقوله محمد مجرد تشويش اختلط في ذهنه من جراء ما كان يسمعه متناثراً مغلوطاً من التوراة المقدسة دون تأكد ولا فحص!..

وأسأل :من الذي اخبر محمد بهذه المعلومة " العلمية " جداً !!!؟؟؟

هل أخبره بها ربه بالوحي ؟ إن كان هذا قد حدث ، فهذا يثبت بأن رب محمد لا يدرك أبسط القواعد الطبيعية عن عمل الجسيمات والانزيمات المؤثرة في الخلية .. وتحلل اللحوم !!!!وبهذا تسقط ربوبيته .. مع نبوة رسوله " الأمي "

المرسل إلى الأعراب الأشد كفراً ونفاقاً .. وجهلاً !..وهم أمة لا تكتب ولا تحسب .. كما اعترف محمد مفاخراً!!!!!... فهل اليهود من أوجدوا البكتريا ..؟!

ثانياً : لولا خيانة حواء .. لكانت كل النساء شريفات !وهذا يشين جنس النساء ... لأنه ينسب خيانات النساء إلى فعلة " حواء !!!" ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر!يعني لو لم تكن حواء وخيانتها ... ما كانت اي زوجة ستخون زوجها !!!لم تخن انثى زوجها الدهر !!!!أي ابداً !...يعني ما كانت ستوجد الخيانة لولا حواء ...أليس هذا توارث لنتائج خيانة حواء ...؟ ! ولصدمة المسلمين بهذا الكلام المحمدي الصحيح .. راحوا يتشقلبون على معناه ويحاولون تطريته وتنعيمه وتشذيبه وتهذيبه باقصى ما تطالوه أياديهم...(وتحت عنوان الحديث في أعلى درجات الصحة !)يقول: أما إن اعترض أحد المتفذلكين منهم حول صحة الحديث ... فنحيله الى كبار علماء الحديث الذين صححوه، وحكموا بصحته (وذكر تصحيح الألباني للحديث، ثم ذكر كلام القرضاوي عن الحديث والذي سأذكره بعد قليل) ثم يقول: إن كان الحديث كاذب مكذوب :فمن هو الكذاب هنا؟ من الذي كذب في هذا الحديث الصحيح ؟هل كذب محمد ؟ !أم كذب البخاري ؟أم كذب أبوهريرة ؟ !ومن سيتبوأ مقعده من النار؟ !
تعالوا الى الخلاص يا مسلمين .. تعالوا الى النور"أهـ.

- **الفئة الرابعة: بعض أصحاب العلم الشرعي**

لعلّ ما يميّز هذه الفئة عن سابقيها هو سلامة القصد، فإن كانت الفئات الثلاث الأولى لا يخلو طعنها في الحديث من انسياق وراء رغبات دفينة، وأهواء مكبوتة، فإنني أعتقد أن هذه الفئة يتأكد فيها سلامة القصد وطيب النية، ولذلك كان طعنهم في هذا الحديث من باب إعلاء مكانة الرسول-صلى الله عليه

وسلم- ودفع مالم يستطيع العقل أن يجد له مخرجا من أقواله- صلى الله عليه وسلم- .

ومن أوائل من وقفت على كلامه من علماء الأمة الإمام محمد الغزالي في كتابه"السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث " حيث يقول [40] :"قال(ويقصد بها الغزالي خطيب مسجد جرى بينهما نقاش) النساء منذ حواء إلى اليوم يستحققن الحذر والتأديب، وقد جاء في الحديث:"لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر" فقلت له: ما خانت حواء آدم، ولا أغرته بالأكل من الشجرة، هذا من أكاذيب التوراة! والقرآن صريح وحاكم في أن آدم هو الذي عصى ربه! ولكنكم دون مستوى القرآن الكريم، وتنقلون من المرويات ما يقف عقبة أمام سير الدعوة الإسلامية!

وتابعه العلامة يوسف القرضاوي في لقاء تلفزيوني على قناة الجزيرة عندما سئل عن هذا الحديث قال 41:" الحديث هو يقول "لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم" يعني: لم ينتن ولم يتغير، يعني هم يعني ادخروا بعض اللحم والسلوى والأشياء اللي زي كده فتسببوا في أنه أصبح ربنا ابتلاهم في أن اللحم ينتن.. ولكن هذا قانون من قوانين الطبيعة، سنة من سنن الله، اللحم بينتن وبيتغير قبل بني إسرائيل، ومن أيام ما خلق ربنا آدم، هذه سنة أن اللحم إذا ترك لازم يتغير، فلم يكن اللحم يعني مخالفا لهذه الطبيعة قبل بني إسرائيل.

قال "ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها" كأن حواء خانت زوجها! هذا ليس له دليل من القرآن أبدا. القرآن يقول إما أنهما أكلا {فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما ..}[طه: 121] فأكلا معا، أو أن آدم هو الأساس لأن في سورة طه {ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما}[طه: 115] الكلام عنه، {فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما ..}[طه: 117]، وبعدين الشيطان {..هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى}[طه: 120] إلى آخره، حتى قال {.. وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى}[طه: 121-122]، فمش بس أن نسب إليهما لا، في أحيان نسب إلى آدم مما يدل

على أنه هو الأصل والمرأة تبعته؛ يعني قالت يعني حتترك إذا أحبت يعني تفتح نفسه أكلت معه، فالأصل هو آدم فكيف نقول إن هذه.. هذه توراتية إسرائيلية أن حواء هي اللي زينت لآدم الأكل، أبدا ليس في القرآن هذا قط ولا يوجد، ولذلك يعني شيخنا الشيخ الغزالي توقف وأنا معه في هذا، الشيخ الغزالي مش توقف يعني أنكر هذا الحديث، ونحن لو نطبق عليه مقاييس العلماء في صحة الحديث لأن العلماء قالوا لكي يكون الحديث صحيحا لازم يتصل بالسند، رواية العدل التام الضبط من مبدأ السند إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة يعني لا يكون هناك علة لا في السند ولا في المتن، وأنا أرى أن هذا الحديث فيه علة أن نصفه الأول مخالف لقوانين الطبيعة التي حكم الله بها هذا الكون والثاني مخالف للقرآن فلذلك من حقنا أن نتوقف في قبوله".

ومن المعاصرين أيضا د محمد سعيد حوى في مقالة له في جريدة الرأي الأردنية، تناول هذا الحديث بالذات كنموذج للأحاديث في الصحيحين التي تعارض القرآن، حيث يقول [42]:" ومن هذه النماذج التي تؤكد ضرورة التحري والبحث في بعض أحاديث الصحيحين لمعارضتها لظاهر كتاب الله حديث أبي هريرة عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - "لولا بنو اسرائيل لم يَخْنْزَ اللحم (او قال الطعام) ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر."

وبعد أن أثبت صحة السند توجه للمتن فقال :" اما متناً : فالحديث يصادم ويخالف حقائق القرآن من وجوه:

أ - قضية خيانة حواء : إن التوراة المحرفة هي التي تقرر أن سبب وقوع آدم في المعصية : حواء، ولقد جاء النص هنا موافقا للتوراة مع ما يتضمن النص المنسوب لرسول الله من 1- تحميل حواء المسؤولة . 2- انها هي سبب الغواية 3- توريث الخطيئة لذريتها .

وكل هذا مخالف للقرآن وموافق للتوراة؛ فالقرآن نجده إما يحمل آدم المسؤولية ابتداء أو يحملهما معا .ونجد القرآن يبين أن سبب الغواية هو إبليس وأن الوسوسة توجهت الى آدم وزوجه سواء بسواء كما يبين القرآن أن التوبة حدثت وتمت وانتهى الامر .قال تعالى "وعصى آدم ربه فغوى " طه 121، وقال تعالى :"يا آدم ان هذا عدو

لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى " ط117، وقال تعالى "فأزلهما الشيطان " البقرة 3، وقال "فوسوس لهما الشيطان " الأعراف 20، وقال "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ".

وقال :ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى "طه 122، وقال : كل امرئ بما كسب رهين " وقال " كل نفس بما كسبت رهينة، وقال :"ولا تزر وازرة وزر اخرى ."

هذا اضافة الى الآيات الكثيرة التي تتحدث عن مكانة المرأة وسمو العلاقة الزوجية .

وبعد : فان كل حقائق القرآن تأبى أن تحمل حواء مسؤولية الغواية أو الخيانة أو إنها هي سبب الغواية أو أن ذلك مورث لبناتها . **ولنا ان نتساءل لماذا لم يورث آدم الخيانة الى أبنائه الذكور؟** ولماذا الاناث دون الذكور؟ تلك فكرة التوراة . ففي الاصحاح الثالث (1-7) من سفر التكوين : وكانت الحية أحيَلَ جميع حيوانات البرية ..فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ... فرأت المرأة ان الشجرة جيدة للأكل .. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها .. فقال آدم للرب : المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت .. ثم ذكر ان اسمها حواء .

قد يقول قائل وما المانع ان يوافق الحديث التوراة أقول : عندما يكون الكلام باطلا شرعا وعقلا وواقعا ومصادما للقرآن فلا يجوز ان نسأل هذا السؤال

ب 2.-قضية فساد اللحم : وهذا مخالف ايضا لما يعلم علميا من قانون أجرى الله الكون وفقه بان اللحم يفسد اذا تعرض للهواء وغيره من المؤثرات . **ويخالف النص القرآني ايضا .**ومما يدل على مخالفة هذا النص للقرآن؛ أن القرآن قصَّ لنا قصة الذي أتى على قرية وهي خاوية على عروشه،ا ولم يبين القرآن متى ولا من ولا ممن ولا يعنينا مطلقا البحث في ذلك ، والشاهد انه قال له : "فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ..." أي ان الله أقام أمامه جملة من الآيات الخارقة للعادة منها حفظ طعامه وشرابه خلاف العادة مع المكث الطويل، ومنها كيف أراه خلق الحمار ونشز العظام، فلو كان القانون الذي كان سائدا والذي جرت به العادة أن الطعام لا يفسد، لما كان في ذكر هذه الآية هنا أي معنى .وهكذا أستطيع الجزم بلا

تردد - واستغفر الله من أي خطأ – أن هذا من النصوص الاسرائيلية التوراتية ، وليست من كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ابدا .وسيبقى السؤال الكبير ذي الحرج الشديد والحساسية المفرطة عند المحدثين : كيف تردُ حديثا روي من أربعة طرق على الأقل عن أبي هريرة وبعضها في الصحيحين؟ .! ومن أين جاء الخلل الى هذا الحديث الذي ثبت أنه لا يمكن ان يكون حديثا من كلام رسول الله؟.

لعلي أستطيع الإجابة عن ذلك فيما بعد."

المبحث الثالث

مناقشة الإنتقادات

الطعن بسند هذا الحديث لم يكن بصورة مباشرة برواة السند فالحديث مروي من طريق معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة الذي قيل فيه أنه أصح أسانيد اليمانيين [43] وهو مروي في البخاري ومسلم أي هو مما اتفق عليه الشيخان، وإنما كان الطعن بالصحابي راوي الحديث، ولأن هذا الطعن لا يستند لأي أساس علمي لن أجعل التركيز عليه في مناقشة الانتقادات، فالانتقاد الموجّه للصحابي الجليل أبي هريرة أنه قد روى هذا الحديث عن أهل الكتاب يحتاج إلى دليل علمي، وطالما أن الحديث يمكن توجيهه وفهمه ضمن الأسس الشرعية لديننا، لا حاجة بنا للطعن بصحابي جليل يعد أكثر الصحابة رواية للحديث.

أما الطعن بمتن الحديث فقد نال نصيب الأسد من المغرضين ومن المنافحين عن الدين، وقد تصدى للرد على الطعون أساتذة فضلاء ولعلّ أهم ما وقفت عليه من ردود ما ردّ به الدكتور ياسر الشمالي على الدكتور محمد حوى، والذي شمل النقاط التالية[44]:

- إن هناك كثيرا من نصوص القرآن موافقة للتوراة، فهل يعني ذلك أن نرد نصوص القرآن؟! ، ثم لماذا لا نستدل بصحة الحديث-الذي لا معارض له كما سيأتي- على صحة ما جاء في التوراة موافقا له ؟ إنما نجزم بأن الشيء في التوراة محرّف إذا جاء في شرعنا ما يصادمه أو يكذبه.
- سوء فهم الحديث، وخلل في توجيه كلام الشراح إذ يقول:" يبين ابن حجر الفهم الصحيح للحديث، وهو أن خطأ حواء كان بتحسين الأكل من الشجرة اتباعا لوسوسة الشيطان كما قال تعالى: (فدلاهما بغرور) وكما قال: (وقاسمهما إني

لكما لمن الناصحين)، فمن المعقول أن نفهم الأمر أن حواء بعد أن اغترت بإغواء الشيطان ونصيحته قامت بتحسين الأمر لآدم فوقعا في المعصية، ولا يوجد في القرآن ما ينفي هذا، إذ سكوت القرآن عما فعلته حواء لا ينفيه، والسنة بينت الأمر وفصلته، فما هي المشكلة ولماذا التسرع في ادعاء التعارض ؟!"

- ثم يرد على الجزء الأول من الحديث فيقول في المقال ذاته:" أن الحديث يتكلم عن عمل بني إسرائيل في اللحم حيث بخلوا وخافوا رزقهم فادخروه ولم يكن يدخره أحد قبلهم فبسبب ادخارهم أنتن اللحم وهو المعبر عنه بقوله "يخنز، وليس الكلام في أن اللحم كان قبل بني إسرائيل لا يخنز، -وإن كان بعضهم فهم هذا-، فلولا بني اسرائل لم يدخر ، ولو لم يدخر لم يظهر فساده، والمتأمل في الحديث يجد أنه يشير إلى أن طبيعة اللحم الفساد لكنها لم تظهر سوى من تصرف بني إسرئيل عندما ادخروه".

وأوافق الدكتور الشمالي تماما فيما ذهب إليه بالنسبة للشطر الأول من الحديث وهو الكلام عن فساد اللحم؛ فالحديث يبين طبيعة من طبائع بني اسرائيل اشتهروا بها في واقع الحال، وهذه الطبيعة لم تنفك عنهم في يوم من الأيام، وهذه الطبيعة هي حبهم للمال وللكنز والإدّخار وتفضيلهم فساد ما يكنزون على أن يفيد منه غيرهم ، أيا كان هذا الغير، فالحديث لا يبيّن ولا يشير إلى أنّهم سبب وجود البكتيريا التي تفسد اللحم، فهذا فهم مغلوط للنص وإنما يبيّن طبيعة اختصوا بها عن غيرهم وهي كما ذكرت حبهم للكنز والإدّخار؛ حتى أنهم يدّخرون ما لا يصح ادخاره كاللحم الذي يفسد، ويبدو -والله أعلم- أن ما كان معهودا في زمنهم أن الناس كانت تذبح، ثم إذا زاد عن حاجتها شيء إما أعطته للآخرين، أو تركته للحيوانات والسباع، ولا يوجد عندهم مبدأ ادّخار اللحوم أصلا، حتى جاء بنو إسرائيل وادّخروا ما لم يدّخر قبلهم، وما يفسد من الإدّخار وهو اللحم، أي أنهم هم الذين سنّوا سنة سيئة هي ادّخار اللحم وفساده لعدم اتاحة الفرص لغيرهم للإنتفاع به.

ونظرة سريعة لواقع حالنا، وما نعايشه نحن بالذات من تاريخ طويل مع هؤلاء نجد قناعة تامة بهذا الحديث وما ذكره من صفات لبني اسرائيل، وأن هذا شأنهم إلى الآن، ففساد ونتن ما لا يحتاجونه مما ينتفع به غيرهم، أحب إليهم من أن ينتفع به غيرهم، والله أعلم.

ولعلي أقول أن **الأساس في الرد** على هذه الطعون جميعها يكون بالرد على الأساس الذي بنيت عليه، فإذا أثبتنا انهيار الأساس انهارت تلقائيا كل الطعون المبنية عليه.

وأقول بعون الله وتوفيقه أن أساس هذه الطعون هو النظر إلى الحديث بعين الشراح والمفسرين؛ وللتوضيح أقول: لقد بنيت كل الطعون لهذ الحديث على كلام الشراح والمفسرين لهذا الحديث، فكل من طعن في هذا الحديث طعن بناء على أن هذا الحديث قد اتفق على معناه، وأن أقوال الشراح تواترت تقريبا في أن المراد منه خروج آدم وحواء من الجنة، ومثاله شرح ابن حجر -وهو أفضل من شرح صحيح البخاري- إذ يقول [45]:" لم تخن أنثى زوجها فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك؛ فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق؛ فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش -حاشا وكلا- ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة، وحسّنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها".

ولا أدري حقيقة لم أُلصق هذا الحديث بحادثة خروج آدم وحواء من الجنة كما يراها أهل الكتاب؟! حتى غدا مسلّما به عند من تناول هذا الحديث من علماء المسلمين أن (الإسرائيليات التي شرحت الحديث) أصبحت هي متن الحديث! الأمر الذي صرف

الأذهان جميعها عند قراءة الحديث إلى قصة خروج آدم وحواء من الجنة كما وردت عندهم، وأن حواء هي الأصل في هذا الخروج كما تقول الإسرائيليات.

والسؤال المهم هنا هل الحديث له علاقة بالإسرائيليات؟!

الإجابة: نعم، لكن ليس من ناحية المتن الذي قاله الرسول-صلى الله عليه وسلم- ، بل من ناحية توجيه الشراح والمفسرين له، فقد كان التوجيه بناء على ما ورد من إسرائيليات تتعلق بخروج آدم وحواء من الجنة، وهو الأمر الذي أشكل في هذا الحديث، والذي جعل المنافحين عن الدين يرفضون الحديث، كما أعطى المغرضين مادة خصبة للطعن، تارة بالحديث وتارة بالصحابي وتارة بالرسول الكريم-صلوات ربي وسلامه عليه-.

وأسأل هنا سؤالا: لم ارتضى علماء المسلمين التفسير المستقى من الإسرائيليات للحديث –وهو مخالف لما جاء بالقرآن- وابتعدوا عن شرح الحديث بناء على النظرة الإسلامية التوافقة للقرآن؟! وهل يعقل أن نقبل أن يشرح الحديث الروايات الإسرائيلية ونبتعد عن منهجية الإسلام في النظر إلى دور آدم وحواء (أو قل الرجل والمرأة) في إعمار الكون؟!

أن الحديث يعطي ترسيخا رائعا لبيان تكامل دور كل من الرجل والمرأة بناء على تأصيل زمني ووظيفي لوجود الرجل والمرأة على سطح الأرض؛ فآدم عليه السلام هو أول رجل رسالي على وجه الكرة الأرضية، وقد جاء إلى الكون لتعميره وإرساء هذه الرسالة فيه، وهذا معنى الخلافة في الأرض، وكذلك الأمر بالنسبة إلى حواء فهي إمرأة صاحبة رسالة تؤديها أيضا على هذه الأرض، ومطلوب من آدم عليه السلام وحواء صاحبة الرسالة تكوين نواة الأسرة -بل قل الأمة- الرسالية، وليس كما تقول الإسرائيليات أنها جاءت لتسلية الرجل ومتعته فقط، بل لها دور رسالي أصلته الآيات

القرآنية التي تبين أن المسؤولية في حمل هذا الدين وإرساء قواعده هي مسؤولية مشتركة بين المؤمنين والمؤمنات.

وعندما وسوس الشيطان لآدم عليه السلام ابتداء- وهذا نستقيه من قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى- ورغب في الأكل، غوته نفسه بفعل وسوسة الشيطان فأكل، وهذا مخالف لدوره الرسالي الذي يحتم عليه الإلتزام بأوامر ونواهي رب العزة عز وجل، ومجاهدة النفس مقابل أداء سليم ومتفوق لدوره الرسالي، فهو في لحظات معدودة غفل عن دوره الرسالي واتبع هواه، لكن سرعان ما رجع وتاب وتاب الله عليه.

إلا أن الأمر قبل التوبة أن الإسلام جعل للمرأة دور رسالي خطير وبالذات في أسرتها، وبالأخص مع زوجها، فهي ليست تابعة له بكل أفعاله بل هي صاحبة دور رسالي تلتزم بداية بما تمليه عليها رسالتها قبل أي شيء آخر، وهنا كان ينبغي للمرأة الرسالية(لحواء الرسالية) أن تتنبه لدورها وتقوم بواجبها الرسالي وهونصيحة الزوج بعدم الأكل، والنصح له بعدم امتثال أمر يخالف مقتضى الرسالة، فلما قدر الشيطان على حواء أيضا ووسوس لها، تنحّت عن دورها الرسالي، واتبعت الرغبات والأهواء بنزعة أنثوية لا رسالية، ولم نقم بواجبها في النصح اعتبر هذا الأمر المهم خيانة منها للزوج، ولذلك جاء في الحديث (لم تخن أنثى زوجها) ولم يقل (لم تخن امرأة زوجها) .

فالحديث فيه تحذير وتأصيل –من خلال ربطه بصاحبة الدور الرسالي الأولى- أن لكل إمرأة دورين؛ الدور الرسالي وهو الدور الأول والأصل والأساس لوجودها، وذلك بمشاركتها الرجل الرسالي في حمل الأمانة وإعمار الكون برسالتها، والدور الثاني هو الدور الأنثوي اللازم لإمداد واستمرار الإعمار إلى ما شاء الله، ويحل في المرتبة الثانية لأنه خادم للدور الأول، وفيه النزوات والشهوات التي قد يضبطها الإسلام ويحددها ليكون أداؤها في دورها الرسالي يليق بمهمتها، فالدور الأنثوي

يحث المرأة على التزين والتجمل وهو مركب في أنوثتها، إلا أنه إذا تعارض مع دورها الرسالي في أحد مناحي الحياة، تقدم دورها الرسالي، وطلب الإسلام من المرأة الرسالية أن تلتزم بالحجاب الشرعي، لأن كشف أنوثتها خارج الوظيفة الرسالية يعيق عمل المرأة الرسالية، وبالتالي يرفض الإسلام للمرأة أن تكون أنثى تبدي زينتها ليستمتع بها الرجل الذكر -وليس الرجل الرسالي-، ويرتفع بها لتكون بحجابها ذاته ناطقة أنني امرأة رسالية لا امرأة أنثوية، ويسمح له بإبداء زينتها أمام من لا يعيقون بنظرهم إليها دورها الرسالي.

وعودا إلى الحديث فهكذا أفهم الحديث أن فيه نوعا من التقريع للمرأة التي تهمّش دورها الرسالي، وخصوصا دورها الرسالي الأسري، ثم يؤسس أن المرأة الرسالية هي خاضعة أولا لتعاليم رسالتها قبل خضوعها لرغباتها أو رغبات زوجها، وأنها حين تطيعه تطيعه فيما كان موافقا لأهداف وغايات رسالتها، وتخلّي المرأة عن دورها الرسالي مع زوجها بالذات(وهما نواة تكوين اللبنة الأساسية والخطيرة في المجتمع وهي الأسرة الرسالية) عدّه الرسول الكريم خيانة، والله تعالى أعلم.

فالحديث لا يُلقي باللوم والتبعة على حواء فقط إذا لم تقم المرأة بدورها الرسالي، ولكن لما كانت هي الأنموذج الأمثل والأول للمرأة الرسالية وغفلت عنه في حالة ما من غياب هذا الوعي للدور الرسالي وجموح الشهوات، إلا أنها سرعان ما استردّت هذا الوعي مع زوجها وتقبّل الله ذلك منهما، فهو أيضا توعية لكل امرأة رسالية للرجوع إلى دورها إذا ما غفلت عنه في زحمة ضغوطات النزوات والشهوات ولها في صاحبة الدور الرسالي الأولى قدوة، والله تعالى أعلم.

[1] البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1987م، ك الأنبياء، باب: قول الله –عز وجل- وواعدنا موسى ثلاثين ليلة 1245/3(3218)

[2] مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، ك. بدء الخلق، باب: لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر 1092/2(1470)

[3] أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، مؤسسة قرطبة، مصر 143/3

[4] ابن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993م، باب: ذكر بعض السبب الذي من أجله تخون النساء أزواجهن 9/ 477(4169)

[5] أبو نعيم، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1405هـ، 389/8

[6] ك. الأنبياء، باب: قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة..1209/3(3152)

[7] ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ،تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت 367/6

[8] بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث، بيروت، 211/15

[9] السخاوي، فتح المغيث، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م 2 /297

[10]مسلم، الصحيح، ك. بدء الخلق، باب: لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر1092/2(1470)

[11] أبو نعيم الأصبهاني، المسند المستخرج هلى صحيح مسل، تحقيق: محمد الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ،، 143/4

[12] أبو عوانه، مسند أبي عوانة، دار المعرفة، بيروت، 143/3

[13]في مسنده 304/2

[14] اسحاق بن راهويه، المسند، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، دار الإيمان، المدينة المنورة، ط1، 1991م، ص 168

[15]في الحلية389/8

[16] الحارث الهيثمي، مسنده (زوائد الهيثمي)، تحقيق: حسين الباكري، دارإحياء السنة، المدينة المنورة، ط1، 1992م، ص 553

[17]الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، 4/ 194

[18]ابن قرناس، الحديث والقرآن، نسخة الكترونية pdf ، ص334

[19]المرجع السابق ص333

[20] المرجع السابق، ص333

[21]زكريا أوزون، جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام المحدثين، رياض الريس، بيروت، لبنان، ط1 2004هـ ص120

[22] سامر اسلامبولي، تحرير العقل من النقل، الأوائل للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2000م، ص218-219.

[23] صالح أبو بكر، الأضواء القرآنية، نسخة الكترونية pdf ص 331-333.

[24] نيازي عز الين، دين السلطان"البرهان"، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 1997م، ص 835-837.

[25]عبدالحكيم الفيتوري ، ليبي مقيم ببريطانيا، دكتوراه في الفكر الاسلامي ، باحث ومدير مركز مقاصد للدراسات الانسانية بمانشستر

[26] وهي مؤسسة تعرّف نفسها على الموقع أنها يسارية علمانية ديمقراطية

[27] http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=166475

[28] الحوار المتمدن - العدد: 2592 - 2009 / 3 / 21

[29] الحوار المتمدن - العدد: 2598 - 2009 / 3 / 27

[30] الحوار المتمدن - العدد: 2605 - 2009 / 4 / 3

[31] الحوار المتمدن - العدد: 2612 - 2009 / 4 / 10

[32] موقع معابر/الذكورة في تراثنا/جورج فرح
http://www.maaber.org/eighth_issue/malehood_in_our_tradition.htm

[33] http://www.shmskrbla.com/vb/showthread.php?t=18832 موقع شمس كربلاء/المنبر العقائدي

[34]شبكة ومنتديات فدك رسول الله وأهل البيت عليهم السلام < المنتديات الحوارية والعقائدية < المنتدى الحواري والعقائدي
http://www.r-ahlulbait.com/a/showthread.php?t=1742

[35] http://www.ansarh.com/forum/showthread.php

[36] تكوين 3:1-24

[37] رسالة بولس إلى ثيماتاوس، الإصحاح الثاني، عدد14، ص33

[38] الإصحاح الحادي عشر آية 2-3-4 ص 300

[39] http://www.copts.net/forum/showthread.php?t=32374
منتدي منظمة أقباط الولايات المتحدة < المنتدى العربى < منتدى حوارات الاديان

40 محمد الغزالي، السنة النبوية بين أهل الفقه.. وأهل الحديث، دار الشروق، القاهرة، ط12، 2001م، ص 202-203

41 http://www.aljazeera.net/channel/archive/archive?ArchiveId=1098789 الموافق 2008/6/18 م
برنامج الشريعة والحياة/ النساء في القرآن

[42] منبر الرأي الثلاثاء 08 حزيران 2010 - 12:50

[43] الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1397هـ، ص55

44 تم النشر على منبر الرأي (http://www.manbaralrai.com)

45 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت 368/6